جامعة محمد بوضياف المسيلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة مقياس مصادر فلسفية

الأستاذ: بوراس يوسف

المحاضرة السادسة: كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين (تابع)

خامسا: عرض للكتاب: يبدأ الفارابي في هذا الكتاب بالإقرار بمنزلة ومكانة الفيلسوفين العظيمين: أفلاطون وأرسطو، واتفاق الآراء على الإشادة بهما فيقول: "ونحن نجد الألسنة المختلفة متفقة في تقديم هذين الحكيمين. وإليهما يساق الاعتبار، وعندهما ينتهي الوصف بالحكم العميقة، والعلوم اللطيفة، والاستنباطات، والغوص في المعاني الدقيقة، المؤدية إلى كل شيء في الحقيقة". ثم بعد ذلك أخذ الفارابي يبين ما قاله الناس عن اختلاف بين الحكيمين في بعض المسائل . فقال: "زعم بعضهم أن بين الحكيمين اختلافا في إثبات المبدع الأول، وفي وجود الأسباب عنه؛ وفي أمر النفس والتعقل، وفي المجازاة على الأفعال: خيرها وشرها، وفي كثير من الأمور المدنية والخلقية، والمنطقية". من أجل هذا كله أخذ الفارابي على عاتقه أن يجمع بين بين رأييهما. فقال: "أردت في مقالتي هذه أن أشرع في الجمع بين رأييهما، والإبانة عما يدل عليه فحوى قوليهما، وليظهر الاتفاق بين ما كانا يعتقدانه، ويزول الشك والارتياب عن قلوب الناظرين في كتبهما، وأبين مواضع الظنون ومداخل الشكوك في مقالاتهما".

بدأ المعلم الثاني بتعريف للفلسفة فقال: "إنها العلم بالموجودات بما هي موجودة"، فالمذهب يكون إذن صحيحا إذا انبطق على الموجود. بيد أنّ هذين الحكيمين قد اختلفا في بعض المسائل الفلسفية، فما مرد ذلك من وجهة نظر الفارابي؟.

أوجه الاختلاف: أوضح الفارابي أنّ هذا الاختلاف لابد أن يكون راجعا إلى واحد من هذه الأسباب الثلاثة:

1: إما أن يكون الحد المبين عن حقيقة الفلسفة غير صحيح "أي يُفترض أن يكون تعريف الفلسفة نفسها غير صحيح".

2: إما أن يكون رأي الجميع أو الأكثرين واعتقادهم في تفلسف هذين الرجلين فاسدا وبغير أساس "أو يُفترض أن فهم كل الناس أو معظمهم لفلسفة هذين الحكيمين مغلوط ومشوه وسخيف".

3: إما أن يكون معرفة أولئك الظانين بأن بينهما خلافا هي معرفة مقصّرة "وهنا يُفترض أن من يعتقد أن بينهما خلافا، معرفته لهذه النقطة معرفة سطحية، لم يضع يده على لب فلسفتهما المتفقتان في الجوهر". لذلك يفحص المعلم الثاني هذه الاحتمالات الثلاث فيتبين لنا أنّ:

أ: الحد الذي بيناه للفلسفة صحيح، كما هو بين لمن يفصح أجزاء هذا العلم. إذ موضوعات العلوم إما إلهية، أو طبيعية، أو منطقية، أو رياضية أو سياسية و"الفلسفة هي المستنبطة لهذه العلوم

جميعا، حتى أنه لا يوجد شيء من موجودات العالم إلا وللفلسفة فيه مدخل، وعليه غرض". غير أنه هنا تتجلى أولى نقاط الخلاف في الظاهر بين أفلاطون وأرسطو، ذلك أن أفلاطون أثناء دراسته للعلوم الفلسفية، فضل استعمال القسمة الثنائية من أجل انتظام مجموع الأحوال الجزئية. بينما فضل أرسطو استخدام القياس والبرهان. غير أنّ هذا لا يعني أن أرسطو رفض القسمة الثنائية، أو أن أفلاطون أنكر قيمة القياس والبرهان.

ب: الغرض الثاني باطل أيضا. آية ذلك أن الاتفاق بين معظم العقلاء دليل على الحق، بشرط أن ألا يكون هذا الاتفاق ناتجا عن التقليد، بل عن البرهان العقلي الدقيق. يقول الفارابي: "ونحن نجد الألسنة المختلفة، متفقة في تقديم هذين الحيكين، وفي التفلسف بهما تضرب الأمثال، وإليهما يساق الاعتبار".

ج: فلم يبق إلا الغرض الثالث وهو أن من ظن أن بينهما خلافا هي معرفة تتصف بالقصور ويذكر لنا الفارابي الأسباب التي حملت إلى ظن من ظنّ أن بينهما خلافا.

أوجه الاتفاق: ثم يحاول بعد ذلك التوفيق بين هذه الخلافات المزعومة على حد قوله.

1: أول نقط الخلاف هي في السلوك في الحياة: فإن أفلاطون قد تخلى عن كثير من الأسباب الدنيوية، بينما أرسطو قد انغمس في علائق الدنيا، ونال الكثير من مفاخرها، وحاز المال الوفير، وتزوج وأنجب أولادا (يرفض برتراند رسل في كتابه تاريخ الفلسفة الغربية الروايات التي تذكر زواجه لأنه كان خصيا)، واستوزر للإسكندر. ومن هنا يبدو لأول وهلة أن بين الرجلين خلافا في النظر إلى السلوك الواجب على الفيلسوف اتخاذه في الحياة. غير أن الفارابي يرى الأمور هنا بمنظار أخر، فإن أفلاطون قد اهتم بأمور الدنيا أيضا ف "دون السياسات وهذبها، وبين السيرة العادلة والعشرة الانسية المدنية ..." وكتبه في هذا الباب معروفة، ومختلف الأمم تدرسها منذ أيامه حتى يومنا هذا. لكنه لما رأى أن المهمة للإنسان هي تقويم ذاته، ثم تقويم غيره بعد ذلك (على أنه متى فرغ من الأهم الأولى، أقبل على الأقرب الأدنى). لكنه (لم يجد في نفسه من القوة ما يمكنه الفراغ مما يهمه من أمرها ؛ لذا أفنى أيامه في أهم الواجبات عليه) : تقويم نفسه.

وأرسطو اتبع تعاليم أفلاطون كما وجدها في مؤلفاته، "هكذا يعتقد الفارابي، غير أن الحقيقة أن أرسطو قد انتقد الكثير من فلسفة أفلاطون لاسيما نظرية المُثُل، بل وصل الأمر إلى تبرير هجومه المتصل على فلسفته أن قال: "أحب أفلاطون، وأحب الحق، وأوثر الحق على أفلاطون"، وبدأ يشير إلى أن (الفلسفة سوف لن تموت بموت أفلاطون)، ولما عاد إلى ذاته، وجد في نفسه قوة على تقويم نفسه ثم التعاون مع الأخرين، والاشتغال بأمور السياسة. لذلك: من تأمل هذه الأحوال علم أنه لم يكن بين الرأيين والاعتقادين خلاف؛ وأن التباين الواقع لهما كان سببه نقصا في القوى الطبيعية في أحدهما، وزيادة في الأخر.

2 طريقة التأليف: وهي ثاني نقط الخلاف الظاهري، فإن أفلاطون ـــ حسب اعتقاد الفارابي ـــ كان يوصي بعدم التأليف، لأنه أراد بث الحكمة في القلوب الطاهرة والعقول الصحيحة. غير

أنه لما خاف ضياع كلمته أو نسيانها، عمد إلى الرموز لتدوين معارفه وحكمته بحيث لا يفهمها إلا القادرون عليها، وذلك على العكس من أرسطو الذي عمد على التأليف والتدوين والوضوح.

3: مشكلة الجواهر: وهذه النقطة الثالثة في الخلاف بينهما، فأيهما أشرف: الكلي أم الجزئي؟ هنا يقر الفارابي بوجود خلاف حقيقي بينهما، غير أنه يعزوه لاختلاف السياق بينهما. فأرسطو يجعل المفرد هو الجوهر الأشرف حين يتحدث في المنطق والطبيعيات، لأنه يهتم حينئذ بالأمور القريبة من الحس. على خلاف أفلاطون، فيؤكد أن المفرد هو الأشرف حسن يتحدث في الأمور الإلهية وما بعد الطبيعة. فهنا يقع الخلاف في الظاهر، أما في الواقع فلا خلاف فيه، بل مرجعه إلى اختلاف سياق الكلام فحسب.

4: القسمة والبرهان: يرى أفلاطون أن الحد التام يكون بالقسمة، بينما أرسطو يراه بالبرهان والتركيب. ويشبه الفارابي هذا الأمر بسلم يصعد عليه وينزل منه، فالمسافة واحدة.

5: مسائل منطقية: القياس، تقابل القضايا.

6: مسائل في الطبيعيات: ومنها الإبصار، إذ يقول أفلاطون أن عملية الإبصار إنه يكون خروج شيء من العين يلقى موضوع الإبصا. بينما أرسطو يرى أن الإبصار يتم بانفعال يحدث في العين.

7: الأخلاق: يرى أفلاطون أن الطبع يغلب العادة ،بينما أرسطو رأى أن العادات كلها تكتسب وتتغير، وأنه ليس شيء منها بالطبع. ويلاحظ الفارابي أنه لا خلاف هنا في حقيقة الأمر، فأرسطو يتكلم ها هنا في الأمور المدنية و "القوانين تكون أبدا ثابتة كلية ومطلقة".

8: تحصيل العلم: فهنا يختلف الحكيمان في عملية تحصيل العلوم (نظرية المعرفة)، فأفلاطون يرى أن كل علم تذكر، بينما أرسطو يرى أن الحواس مصدر العلم ومن فقد حاسة فقد علما. والفارابي هنا يوفق بينهما بقول لأرسطو في كتاب البرهان : (كل تعليم وكل تعلم فإنما يكون عن معرفة سابقة متقدمة الوجود). ويقول الفارابي: أليست هذه نظرية التذكر عند أفلاطون بعينها. وهنا يعلق عبدالرحمن بدوي بقوله: لم نجد هذا النص في كلام أرسطو في كتاب (البرهان) فلسنا ندري من أين استقاه.!

9: مسألة أزلية العالم وأبديته، يظن الناس أن أرسطو قال بأبدية العالم، بينما أفلاطون قال بأنه مخلوق في الزمان.

10: المُثُل الأفلاطونية: وهنا لكي يوفق الفارابي بينهما، يلجأ إلى كتاب (أثولوجيا) المنسوب خطأ إلى أرسطو، بينما هو في الحقيقة تلخيص (التاسوعات) لأفلوطين.

11: الثواب والعقاب في العالم الآخر: هنا يعتقد الناس أنه لا أفلاطون ولا أرسطو يعتقدان باليوم الآخر والثواب والعقاب. لكن الفارابي يرى أن هذا الزعم خطأ، فبالنسبة إلى أرسطو يلجأ

الفارابي إلى الرسالة التي بعثها أرسطو إلى أم الاسكندر يعزيها في ولدها، غير أن عبد الرحمن بدوي يقول بأن هذه الرسالة منحولة على أرسطو.